

كانت عشتارُ إلهة طموحة لم تكتفِ بسيادتها للسماء فأرادت أن تحكّم مناطق العالم السفلي أيضاً والذي كان يرضخ لحكم أخت إنانا الكبرى التي سماها السومريون 'ايرشكيجال' إلهة الموت والظلام.

تسلّحت إنانا بكل النواميس والتعويذات التي تملكها تأهباً لتنفيذ خطتها المجنونة بالدخول إلى 'الأرض التي لا عودة منها'، وقبل أن تهمّ برحلتها أوصت وزيرها ننشوبر 'أنها في حال لم تفلح في العودة بعد ثلاثة أيام فعليه أن يندبها في 'مجمع الآلهة' ثم يشدّ الرحال إلى الإلهة إنليل 'كبير الآلهة السومرية' ثم ننا 'الإله القمر' فإذا لم يستجب حدهم لتوسلات الوزير لإنقاذ إنانا عليه أن يذهب إلى إنكي 'إله الحكمة' الذي لن يتوانى عن إنقاذها.

تهبط عشتار إلى العالم الأسفل وتقترب من معبد 'ايرشكيجال' المشيد بحجر اللازورد، فيعترضها عند الباب رئيس حراس المدخل ويطلب منها أن تعرّف عن نفسها فتلق عشتار عذراً لزيارتها ثم يقودها رئيس الحرس بموجب الأوامر والتعليمات التي تلقاها من سيده ملكة العالم السفلي 'ليمر' بها عبر بوابات العالم السفلي السبعة. وكانت كلما تمر من بابٍ تتجرّد من حللها وحلاها قطعة تلو الأخرى وبالتالي أخذت تفقد ما تسلّحت به من قوى سحرية، حتى إذا ما عبرت من البوابة السابعة والأخيرة جرّدت من كل شيء فأصبحت عارية، عندها أمرت أن تسجد لـ 'ايرشكيجال' و 'الأنوناكي' وهم القضاة السبعة المخيفون الخاصون بالعالم السفلي، صوّبوا إليها نظرات الموت وتحولت إلى جثة هامدة.

مرّت ثلاثة أيام وثلاث ليال، وفي اليوم الرابع وعندما رأى ننشوبر أن سيده لم تعد ، بدأ رحلته نحو الآلهة ليستجير بها كي تنقذ إنانا من محنتها. رفض كلٌّ من إنليل وننا مدّ يد المساعدة، إلا أن الإله إنكي ابتدع سيلةً لبعثها للحياة بأن خلق مخلوقين لاجنس لهما وأمرهما أن يذهبا إلى العالم السفلي وينثرا طعاماً وماء الحياة على جثتها. استجاب الرسولان للأوامر وعادت إنانا إلى الحياة أذن لإنانا أن تقوم وتعود إلى الأرض ولكنها كانت في حراسة عدد من الشياطين الأشداء بُعثوا معها وأمروا بأن يعودوا بها إلى عالم الأموات إن لم تجد من يحل محلها وهكذا خرجت إنانا تسيرُ محاطة بأولئك الشياطين بموكب رهيب قصدت أولاً المدينتين السومريتين أوما وبادتبيررا ولكن سرعان ما حلّ الذعر في قلب الإلهين الحاميين لهما، فلبسا المسوخ وتمرغا في التراب أمام إنانا التي قبلت خضوعهم وتذلّهم فمنعت الشياطين من أخذهما.

ثم تواصل إنانا المسير ومعها حشد الشياطين حتى تصل إلى مدينة دموزي (تموز عند البابليين)، أبى دموزي ارتداء المسوخ أو التذلّل أمام قرينته بل أنه ارتدى حلل العيد والأفراح وتربّع على عرشه غير مبال. عندما رأت إنانا زوجها وحببيها فرحاً غير حزين على موتها استشاطت غضباً وصوبت إليه نظرة الموت وقامت بتسليمه إلى زبانية العالم السفلي في مشهد مروّع.

حاول دموزي النجاة من مصيره، فنجح بالفرار من الشياطين ليختبئ بين الأعشاب ويطلب من أخته ألا تشي به. تذهب الشياطين إلى بيت أخت دموزي ويعذبوها ويقومون استجوابها من

أجل الاعتراف بمكان دموزي لكنها تقاوم وتفي لأخيها بوعدها بحمايته يخشى دموزي أن يصيب أخته الوفية شراً على يد هؤلاء الشياطين الذين لا يعرفون الرحمة فيقرر أن يسلم نفسه لهم. وما أن صار دموزي الإله المعذب بين يديهم حتى أشبعوه ضرباً بالعصي والسياط ويهيئوه لرحيل معهم. هنا يتوجه بالدعاء إلى أوتو إله الشمس طالباً معونته فيستجيب له ويحول يديه ورجليه إلى قوائم غزال فيفرّ هارباً.

لكن الشياطين تلقي القبض عليه مرة أخرى وتعود لضرب وتعذيب الإله المعذب مجدداً. لم ييأس دموزي ونجح بالهرب منهم مرة أخيرة واختبأ في حظيرة أخته ، لكن الشياطين شديدة البأس تصل له وتأخذه معها إلى العالم السفلي هنا شعرت عشتار بتأنيب الضمير فهي في الحقيقة مغرمةً به فطلبت من أختها تسويةً لإرضاء الجميع، وكان لها ما أرادت؛ وهي أن يقضي الإله تموز في عالم الأموات نصف سنة من كل عام تبدأ بشهر تموز تموت أثناءها الزراعة والماشية من شدة الحر والجفاف وينتشر القحط ويغادر بعدها ذلك العالم إلى عالم الأحياء في النص الآخر من السنة لتحلّ محله أخته التي تطوعت من أجله، وهذا مرتبط بالربيع فتعود الزراعة والخير، وهكذا دواليك

بديل عنها هو زوجها « تموز » كما المحنا الى ذلك *
وبعد هذه المقدمة التوضيحية نقدم موجزا وافيا عن كل من الروايتين
السومرية والآشورية عن نزول عشتار الى عالم ما بعد الموت مبتدئين بالرواية
السومرية التي قلنا انها هي الاصل والاقدم *
١ - الرواية السومرية :

خلاصة الرواية السومرية^(١٠) عن اسطورة نزول الالهة « انا »
(عشتار) الى العالم الاسفل ان « انا » ، ملكة السماء صممت ، وهي
مدفوعة ببواعث غير معروفة ، الى النزول الى ذلك العالم :
« من السموات العلى الى الارض السفلى
« صممت « انا » على النزول الى العالم الاسفل
« هجرت « انا » السماء وثركت الارض وهبطت الى العالم الاسفل
(ارض اللاعودة)

« تخلت عن الآلهية ، ونبتت السيادة ونزلت الى العالم الاسفل
« هجرت « اى - انا ، (*) في أوروك وانحدرت الى العالم الاسفل
« وهجرت في « باد - تيرا ، « اى - مش - كلاما ، (**) ونزلت

الى العالم الاسفل

« وهجرت معبد « كي - كونا ، (Giguna) في « زيلام ، (*)
ونزلت الى العالم الاسفل

ثم يعدد النص معابد الالهة الاخرى التي هجرتها الالهة مثل معبدها
في « أدب » ومعبدها المسمى « اى - شرا » (E-Sharra) ، وفي مدينة
نفر حيث المعبد المخصص لعبادتها واسمعه « برساك كلاما ،
(Bursagkalamma) وفي مدينة « أكادة » (أكد) حيث معبدها المسمى
(اى - اولماش) (Eulmash) وقبل ان تهبط الى عالم الارواح تزودت

بالنواميس الالهية السبعة (***) وازينت بأجمل حلاها وجواهرها الخاصة
بأعضاء جسمها واستعدت للنزول الى « أرض اللاعودة » • وخشية ان
تحبسها أختها « ايريشكيكال » في مملكتها فلا تقوم منها الى عالم الأحياء ،
أوصت رسولها الأمين « نشوبر » (Ninshubur) بانها ان لم تصعد من
ذلك العالم في مدى ثلاثة أيام عليه أن يلبس ثياب الحداد ويخفى الى نجدها
عن طريق توسط الآلهة العظام ، وفي مقدمتهم الاله « انليل » في نفر فيذهب
للاستغاثة به :

« انتحب امام انليل وقل له ، ايها الرب لا تدع ابتك يقضى عليها
بالموت في العالم الأسفل » • واذا لم يستجب « انليل » الى استغاثته عليه ان
يقصد الاله القمر « نانا » (نار او سين) في مدينة « أور » ويكرر طلب
النجدة فاذا لم يهب لنجدها عليه ان يذهب الى « اريدو » ويكرر الاستغاثة
بآلهها « انكي » (ايا) الذي لاشك في انه سيستجيب للاغاثة ، وهو الحكيم
العارف بسر طعام الحياة وشراب الحياة » •

وعندما اقتربت « انا » من قصر اختها في العالم الأسفل المشيد من
حجر اللازورد ، وعند مدخل ذلك العالم لاحقها حاجيه المسمى « نيني »
(Neti) فصرخت به ان يفتح لها الباب ، ولما سألها عن تكون وعلام
نزلت الى العالم الأسفل ، اجابته بانها « انا » ، من الموضع الذي تشرق
منه الشمس ، وانها حضرت لتشارك في دفن زوج أختها المسمى
« كوكال أنا » ، فاجابها ان تنتظر ريشما يبلغ ملكته « ايريشكيكال » بالامر ،

ولما بلغ الخبر هذه الالهة أمرت رسولها أن يقود « انا » من أبواب العالم
الاسفل السبعة ويجردها من ملابسها وحلاها الكثيرة عند اجتيازها من كل
بوابة من ابوابه التي وردت اسمائها في الاسطورة، وهكذا قادها من بعد اجتيازها
الباب السابع عارية امام اختها « ايريشيكال » التي كانت تجلس على
عرشها ، وفي حضرتها قضاة العالم الاسفل السبعة من آلهة الانوناكي +
فأصدر هؤلاء القضاة حكمهم على « انا » بالموت بأن صوبوا عليها نظرات
الموت ، وبكلمتهم التي تزهق الارواح استحالت « انا » جثة هامدة فعلمت
من عمود + وبعد مضي ثلاثة أيام ، وهو الاجل الذي حددته « انا »
لرسولها « نثوبر » ولما لم تقم هذه الالهة من العالم الاسفل خف رسولها
لتنفيذ امرها وقصد الالهة الثلاثة وهو لايس ثياب الحداد واستغاث بهم ،
وفد وقع ما تنبأت به « انا » من تقاعس الالهين « انليل » و « نانا » عن
نجدتها ، ولكن الاله « انكي » استجاب لاستغاثة رسولها ودبر خطة
لانقاذها : خلق مخلوقين لا جنس لهما اسمهما « كركرو » (Kurgarru)
و « كلاترو » (Kalaturru) وزودهما بطعام الحياة وماء الحياة ، وسث
بهما الى العالم الاسفل لينثرا هذين الاكسيرين عدة مرات على جثة « انا »
المعلقة ، وارشدهما بأمر أخرى لا تعرف ماهيتها لانخرام النص + ففعلا
ذلك وعادت « انا » الى الحياة ، وقادها حارس العالم الاسفل من ابوابه
السبعة وكان يعيد اليها حلاها التي سلبها منها ، وقامت « انا » من عالم
الاموات ، ولكن تبعها جمع من شياطين ذلك العالم وهي تتجول من مدينة
الى اخرى +